

التراث الشعبي في ظل التحول الرقمي: الشعر الشعبي الجزائري أنموذجا.

Folk Heritage in the Digital Transformation Era: Algerian Folk Poetry as a model



مسعود جغبالة*

جامعة مولود معمري - تيزي وزو

messaoud.djeghbala@ummto.dz

شامة مكلي

جامعة مولود معمري - تيزي وزو

chama.mekli@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/08/31 تاريخ القبول 2023/11/15 تاريخ النشر 2023/12/31



ملخص:

تسعى هذه المقالة إلى إظهار التحديات التي تواجه التراث الشعبي عموما، والشعر الشعبي الجزائري بصفة خاصة في ظل التحول الرقمي، وذلك من خلال محاولة حل الاشكالية القائلة: هل طرق الحماية الحديثة قادرة على المحافظة على التراث أم هي أداة تعرضه للسرقة والتزييف؟

الكلمات المفتاحية: التراث، التحول، الرقمي، الشعر، الشعبي.

Abstract :

This article aims to outline the challenges that popular heritage, especially Algerian folk poetry, is encountering due to the impact of digital transformation. It also aims to address the question of whether modern protection methods are capable of preserving heritage or they expose it to theft and counterfeiting.

key words: : heritage, transformation, digital, poetry, folk .

* المؤلف المراسل

مقدمة:

كان ولا يزال التراث الشعبي المرآة الصادقة التي تعكس ثقافة أي مجتمع من المجتمعات، وتبرز سلوكياته من عادات، وتقاليد، وأساطير، وسير، وملاحم، وأمثال وأشعار، وتظهر حقائقه، وتجاربه، ويعتبر التراث الشعبي منطلقا للاندماج مع الحاضر، والاتجاه نحو المستقبل، والمعبر المؤدي نحو هوية الأمم وسبيل من سبل استمرارها وصمودها لمواجهة التحديات التي تؤدي الى طمس هويتها.

لا يوجد شعب دون تراث، وكل الشعوب تفتخر بتراثها، وتحاول المحافظة عليه لحماية ثقافتها الوطنية، وذاكرتها الجمعية ورغم التحديات الكثيرة التي واجهت التراث الشعبي للأمم، والمجتمعات إلا انها ناضلت ولا زال نضالها متواصلا، وفي السنوات الأخيرة أخذ هذا النضال منحى تطوريا متسارعا في الوصول إلى الجماهير حيث ابتدأ بالشفاهة والوسائل المسموعة والمقروءة والمرئية ثم الرقمية ولا ندري بعد ذلك ما تأتي به العلوم الحديثة والتطور التكنولوجي من وسائل في علوم الاتصال.

إن كل هذه الوسائل المتعاقبة جعلت التراث الشعبي يبقى بارزا، ومنتشرا بين الشعوب، ومعبرا عن هويات الأمم ورغم كل هذه الأهمية التي أظهرتها هذه الوسائل، لا بد لنا أن لا نتغاضى عن المخاطر التي قد تؤدي بالتراث الشعبي إلى المهاوي والمزالق. وهذه التحديات والمخاطر من المفروض أن لا تجعل المجتمعات تنزوي، معتقدة أن هذا الانزواء يحافظ على موروثها الشعبي؛ لأنه من أراد أن تكون له مكانة بين الأمم والمجتمعات عليه أن يواكب هذا التطور التكنولوجي الرهيب ويسخر ما أتيح له من إمكانيات دون الانبهار الذي يؤدي إلى الذوبان.

عُرفت الكثير من الطرق للحفاظ على التراث في المجتمعات منها: تدوينه على المخطوطات وكتابته ورقيا ... وهي طرق كلاسيكية، ومع ظهور التكنولوجيا والتحول الرقمي الذي أفرز ظهوره مخاوبا بشأن سلامة التراث الشعبي، والحفاظ عليه وخاصة في

ظل الرقمنة وخاصه الإلكترونيّة وأما الأساليب المتطورة في التزييف، والمحاكاة صارت هاجسا يؤرق المهتمين بالتراث الشعبي خوفا من طمس مضامينه، وتشويهه، وتزويره، والاستيلاء غير المشروع على مكوناته.

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نتساءل ما هو التراث الشعبي؟ وما هي تقسيماته؟ وهل الطرق الحديثة الموضوعية لحماية، والحفاظ عليه قادرة على تأمينه؟ أم هي أداة تعرضه للتزييف والضياع والسرقة عبر قرصنته؟

أولا: التراث الشعبي فروعه وتقسيماته:

1 - مفهوم التراث الشعبي:

بما أن التراث الشعبي هو أساس هوية المجتمع الثقافية، والمكون الأساسي للشعوب من تقاليد، وعادات، وتجارب، وروابط متينة تربط الماضي بالحاضر، والواصل الموثوق بين الأجيال، والمخزون الثقافي المتوارث من الأجداد الذي يشمل القيم التي تشكل هوية المجتمعات، ومصدرا من مصادر الابداع الثقافي.

فقد عرفه (حلمي بدير): "التراث الشعبي يتسع ليشمل كل شيء العادات والتقاليد والأزياء والطقوس، الزواج، الميلاد، السبوع، الوفاة، الختان، الزرع، الحصاد، الري ونحوها. بل يتسع ليشمل سلوكيات الأفراد في حياتهم اليومية وعلاقتهم بالآخرين وانتقال الأحوال من جيل إلى آخر. بل لقد اتسع ليشمل سلوكيات الأفراد مع أنفسهم، فهو كل ما يتعلق بالحياة من ظواهر، وكل ما يتمسك به الجيل، ومالا يتمسك"¹.

وقد عرفه (أحمد علي مرسى): "على أنه يشمل الفنون، والمعتقدات، والأنماط السلوكية الحية التي يعبر بها الشعب عن نفسه سواء استخدم الكلمة أو الإشارة أو الحركة أو الإيقاع أو الخط أو اللون أو تشكيل المادة أو آلة سيطرة"².

تعتبر كلمة تراث كلمة تشمل ما تركه الأوائل من مؤلفات، وأبنيه، وقلاع، وفنون، من رسم، وموسيقى، وغناء، ورقص وقد عرفه جبور عبد النور بقوله: "التراث هو ما تراكم

خلال الأزمنة من تقاليد، وعادات، وتجارب، وخبرات، وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، ويعتبر جزء أساسي من قوامه الاجتماعي، والانساني، والسياسي، والتاريخي، والخلقي ويوثق علاقته بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه³. تراكم الخبرات يختصر الوقت على أبناء الأجيال المتعاقبة، فلكل جيل خبرات يورثها للجيل الذي يليه، وعليه تصير الحماية والحفاظ على التراث الشعبي ضرورة ملحة، لأن زواله يؤدي إلى زوال الهوية، وفقدان الذاكرة الشعبية حيث يقول عبد الحميد بورايو: "إن التراث هو نتاج عمل جماعي بشري سابق، وبديهي أن الأمة التي تملك تراثا ضخما هي أمة عريقة فعلا، أي إنها أمة ذات ممارسات حضارية، وثقافية متميزة في القرن، وقرون سابقة"⁴.

أخذ التراث الشعبي استقطابا للعقول، واستثارا للنفوس، لما يتمتع به من الأهمية التي استقاها من تنوع روافده، وضخامة مادته، وسعة معطياته الانسانية، وقابليته للتناغم مع الواقع، ومسايرته، والتعامل مع مختلف المجالات الابداعية المختلفة، والتعامل مع الأنماط المعرفية المعتمدة.

خلال نظرنا إلى التراث الشعبي من حيث النشأة، والتكوين نجده جزء من الماضي لكن له الأهمية الكبرى في تطور الحاضر، لأنه يحمل بداخله البذرة الأولى من التجارب، والخبرات التي بدورها تدعم الواقع، وتمنح الهويات قوة، وتحافظ على حماية الطقوس والمعتقدات.

2 - أقسام التراث الشعبي:

بما أن التراث الشعبي هو مجموعة من النتائج الانسانية، والممارسات العلمية، والقدرات الفكرية، والتعبيرية التي توارثتها وتناقلتها الشعوب، فقد قسمه العلماء الفلكلوريين، ورواد البحث الأنثروبولوجي إلى ثلاثة أقسام كبرى:

أ- التراث المادي الثابت: ويشمل كل المباني القديمة ذات الطابع التاريخي سواء كانت مدنية، أو دينية، أو عسكرية، وكذلك المدن التاريخية، والمعالم، والمواقع الأثرية، والكهوف، والمغارات، ويشمل أيضا الأحياء القديمة، وكذلك كل ما يتعلق بالمباني من نقوش وزخارف معمارية ورسوم على الصخور وفي الجبال والمتاحف والمكتبات الرموز الوطنية التاريخية.

ب -التراث المادي المنقول: ويتضمن الأدوات الأثرية مهما كان نوعها، أو حجمها كالأدوات الحجرية من حجارة مصقولة، أو رؤوس سهام، ونقود، وعملات، أو قطع خزفية، فخار أي كل ما ينقل من مكان إلى آخر.

فهذين القسمين هما: قسما التراث المادي الذي تعرفه فاتن الشريف: "يشمل رصيد التكنولوجيا والمصنوعات المادية لدى الجماعة البشرية، والتي تتضمن العناصر التي أنتجها الانسان لأغراض الزينة، والفن والطقوس"⁵.

ج -التراث اللامادي هو: ما يكتسبه الانسان، ويتوارثه، ويؤثر على جوانب حياته كالمعايير، والمعرفة، والمعتقدات، والأمثال، والأغاني، والقصص الشعبية "ويتمثل في الصور الفكرية أي الصور التي ترسم في ذهن الانسان، وهو يواجه لغز الوجود محاولا فهمه في مختلف مراحل حياة الفكر البشري، واضطراباته في غيبوبته، وصحوته، فيما يظهر على السطح، وفيما يخفيه في أعماق شعوره، في أمانيه، وخيبته في فرحه، وحزنه في تفاؤله، وتشاؤمه. هي صور فكرية لا تعرف التوقف أو السكون سبيلا"⁶.

شكل التراث الشعبي مادة خصبة تم استثمار ما يزرع به من قيم للاستفادة منها في ميادين مختلفة، واهتم به الباحثون، واعتنوا به، ومن كثرة تشعبه تفرعت ميادين دراسته، وكثرت تقسيماته، منها تقسيمات الجوهري، ومحمد فتحي عبد الهادي، وفي عام 2006م. نشر الدكتور مصطفى جاد المجلد الأول من تصنيفه تحت اسم (مكتز الفولكلور) وقسمه إلى خمسة أقسام هي:"⁷.

1- المعتقدات والمعارف الشعبية.

2- العادات والتقاليد الشعبية.

3- الادب الشعبي.

4- الفنون الشعبية.

5- الثقافة المادية.

فالدكتور مصطفى جاد عرض تقسيما موجزا، ووضع بعض التعديلات، إضافة إلى بعض الاختلافات في تسمية التصنيفات.

3 - مفهوم الأدب الشعبي:

يعد الأدب الشعبي موضوعا مهما ينتمي إلى التراث الشعبي، ويعتبر من أبرز موضوعاته، وأكثرها عراقا، وأوفرها حظا من البحوث، والدراسات، ويكتب بلغة عامية، قريبة من أفواه الشعب، وأحاديثهم اليومية فيما بينهم، إنه ذلك الأدب الذي يرصد مظاهر الحياة الشعبية، قديمها، وحديثها، حاضرها، ومستقبلها، ويصورها تصويرا دقيقا، فيعبر عن احتياجاتهم، ووجداتهم، ومشاعرهم واهتماماتهم. هو ذاكرة الشعوب، ومرآتها التي تعكس بكل صدق ماضيها، ووعيها الشفوي بكل ما ينطوي عليه من تقاليد، وعادات، وطقوس دينية، واجتماعية.

ذكر بولرباح عثمانى تعريفا للمرزوقي في كتابه الأدب الشعبي قائلا: "إن الأدب الشعبي هو كذلك الأدب الذي استعار له الشرقيون من أدب كلمة فلكلور على اختلاف صحته، وإطلاق هذه الكلمة على ما نسميه بالأدب الشعبي بالضبط"⁸.

ويرى (محمد بوزواوي): "بأنه لكل أمة أدب يدعى أدب شعبي، وهو الأدب غير المتميز بصفته الفنية، وأفكاره النابعة من آماله وآلامه، إنه أدب السمار، والأحاديث، والنوادر، والطرائف، والخرافات، والأساطير التي يقطع الناس فيها فراغهم، ويتبادلونها في لياليهم وجلساتهم. ينبع هذا الأدب من ظروف الأمة الخاصة والناس هم الذين ينسجون

أخبارهم قصصا، ويحكونها روايات، وأساطير، ويلبسونها أشخاص من واقعهم، أو ماضيهم، أو من خيالهم⁹.

وقد عرفه (محمد سعيدي): "بأنه الأدب الذي أنتجه الفرد بعينه ثم ذاب في ذاتية الجماعة التي ينتمي إليها مصورا همومها، وآلامها في قالب شعبي جماعي"¹⁰.

أما (عبد الحميد بورايو) فقد أورد تعريف (لطفي الخوري) الذي يقول "إن التراث الشعبي ليس مجرد نزوة عابرة، أو تقليد أعمى كما أنه ليس تسلية كما يحلو للبعض أن يصفه؛ بل هو الاهتمام بعلم متكامل مبني على أسس علمية، وواقع اجتماعي ملموس متأث من الإيمان بأن الشعب هو صانع للتاريخ، وهو الذي وضع الأسس الحضارية للمجتمع الذي يعيش فيه"¹¹.

وضع (عبد الحميد بوسماحة) عدة تسميات للأدب الشعبي منها: الأدب الشعبي، أو الأدب الشفوي الذي يضم أنواعا أدبية تنتقل عادة عن طريق اللغة الأم بين الناس. و"هذه الأنواع تتمثل في المثل، والنادرة، والحكاية، والسير، والأغنية والأسطورة، والنكت، وأهازيج الطقوس، والأقوال السائرة، والشعر"¹².

الاختلاف الحاصل بين الدارسين لمفهوم الأدب الشعبي ناتج عن تباين البيئات، واختلاف المصطلحات. سيظل معنى الأدب الشعبي هو الأدب الذي يصدره الشعب ليعبر عن وجدانه، ويعكس اتجاهاته وطموحاته.

4 - تعريف الشعر الشعبي الجزائري:

الشعر الشعبي أو الشعر العامي؛ وهو الشعر الذي يستمد كلماته، وألفاظه، وطريقة أدائه، ومعانيه، وأسلوبه، من الحياة العامة، أو الشعبية، حيث يكتب بكلمات من اللهجة المحكية بين الناس، ولا يستخدم الفصحى، لكنه يختار أجمل التوصيفات التي يقولها الناس في كلامهم ولهجتهم المحكية.

عُرف عن الشعر الشعبي أنه الأقرب إلى النفوس من جميع الأشكال التعبيرية، لما يملكه من وسائل للوصول إلى المكنونات، والبوح بالاحاسيس، وما يختلج داخل الصدور، فالشعر الشعبي فيض من المشاعر الانسانية يغمر أفراد المجتمعات، له الأهمية الكبرى في نقل المعارف، والمعتقدات، والعادات، والمعبر الأساسي عن الهويات لذا فهو ضروري لمواجهة الحياة لما يحمله من قيم تمثل قاعدة لتماسك أفراد المجتمعات الأمم.

وله دور الريادة في التكفل بالقضايا الوطنية، وقد قال عنه النقاد أنه قارة غير مكتشفة، وهو وليد الجماعة الشعبية، ويعبر عن أفكارها، ومواقفها، ومصالحها، وأهدافها، وهو طيف متعدد الألوان، والصور، ويحاول الشاعر من خلاله إبراز ملامح الحياة الاجتماعية بجميع أبعادها.

يرى التلي بن الشيخ أن: "الشعر الشعبي يطلق على كل كلام منظوم من بيئة شعبية بلهجة عامية، تضمنت نصوصه التعبير عن وجدان الشعب، وأمانيه، متوارثا جيلا بعد جيل عن طريق المشافهة"¹³.

يعرفه المرزوقي: "بأنه كل شعر منظوم بالعامية سواء معروف المؤلف، أو مجهولة، وسواء دخل في حياة الشعب، أو كان من شعر الخواص"¹⁴.

وأما عبد الله الركبي يعرفه بقوله: "لما كان الشعر الملحون في معظمه تقليدا للقصيدة المعربة فإن الفرق بينه، وبينها هو الإعراب"¹⁵.

ارتبط الشعر الشعبي بالإنسان منذ القدم، وصار ملازما له، ومعتبرا عن أفراحه، وأتراحه، وتأملاته في الحياة، ويعكس وقائع الحياة الاجتماعية، ويسجلها، وينفذها آخذا مكان ضمير الأمة، وصوتها معبرا عن ما يخطر في وجدانه. ففي الجزائر مثلا بعد الاستقلال ظهرت برامج إذاعية، وتلفزية اعتنت بإظهار التراث الشعبي الجزائري فانتشرت الأغاني الشعبية العاصمية التي تغنت أشعار الشاعر الشعبي ابن مسايب، وغيره من شعراء الشعر الشعبي في الغرب الجزائري، وكذلك تغنى بأشعار الشاعر بن كريو، والشيخ

السماتي المطرب رابح درياسة، وخليفني أحمد، وعبد الحميد عباسية، وظهر على الشاشة الصغيرة فيلم حيزية الذي بثت من خلاله قصيدة حيزية المشهورة للشاعر محمد بن قيطون، فقد ارتقى الشعر الشعبي الجزائري بالذوق الفني، والجمالي للأفراد المتلقين، وغرس القيم والمبادئ الجماعية فيهم.

يتميز الشعر الشعبي الجزائري بالروح الوطنية، والدفاع عن كرامة الأفراد، وحرية الشعوب فقد رصد لنا الثورات التي تعاقبت على الأرض الجزائرية، وسجل انتصاراتها في حماس، وسجل هزائمها في حسرة، وحزن، وعبر الشاعر الشعبي الجزائري من خلاله على آلامه، وجراحه فقد كان صوتا قويا معبرا عن الضمير الشعبي. لقد زرع حب الدفاع عن الوطن، وجسد قيم الرجولة والشهامة، والمقاومة، ونستطيع دون مشقة أن نلاحظ دوره التربوي، والإصلاحي، والثقافي، والفني، ويعتبر مرآة عاكسة للحياة العامة للناس.

ثانيا: الشعر الشعبي الجزائري في ظل التحول الرقمي:

1 - مفهوم التحول الرقمي:

هو الاستفادة مما أحدثته الثورة التكنولوجية، واستخدام أساليب الذكاء الاصطناعي ويتطلب هذا السعي أساليب، وخطط تهدف إلى تقديم أعمال مميزة، وأمنة بأقل التكاليف، وتقديم خدمات بشكل جديد ذات جودة، ونوعية تحقق التحكم في الوقت، وقد ساهم التحول الرقمي في تغيير نمط الحياة البشرية، وأصبح من الضروريات في العصر الحالي وأصبحت كل العمليات تتم به دون تدخل اليد البشرية فيها إلا للضرورة. و"يعرف التحول الرقمي بأنه نموذج عمل جديد قائم على استعمال التقنيات الرقمية في ابتكار منتجات، وخدمات جديدة وطريقة توزيعها، والتوجه، والتركيز نحو العميل أو المستخدم"¹⁶.

التحول الرقمي: "هو تغيير العناصر المادية بأخرى لامادية أو افتراضية، وكذلك في كل مجالات الحياة، حيث يتم استخدام تكنولوجيا الاتصالات الإلكترونية والبرمجيات والمعدات الإلكترونية"¹⁷.

فالتحول الرقمي هو: التغييرات الناشئة عن التقنيات الرقمية وتخزين الثقافة ونشرها وتقليص الفجوة المعرفية، إن التسارع والتطور التكنولوجي جعل الحكومات تنشئ وزارة تعنى بالرقمنة من شأنها الارتقاء للتحول الرقمي.

"و"تعنى تكنولوجيا المعلومات بالنظم المختلفة التي يتم بواسطتها الحصول على المعلومات في كافة أشكالها وتخزينها، ومعالجتها، وتداولها، وإتاحتها للمستخدمين باستخدام أجهزة الكمبيوتر، والاتصالات عن بعد، والتي تبنى أساسا على مجالين رئيسيين هما تكنولوجيا الكمبيوتر، وتكنولوجيا الاتصالات عن بعد، حيث يتضمن مجال تكنولوجيا الكمبيوتر تحليل، وتصميم النظم، وإنتاج برامج، وإنتاج المعلومات بطريقة واضحة، ومفهومة، وجمع المعلومات، وتشفيرها، وغيرها في حين يتضمن مجال تكنولوجيا الاتصالات عن بعد تكنولوجيا الاتصال الكابلي، وتكنولوجيا الأقمار الصناعية، وتكنولوجيا الألياف الضوئية، وتكنولوجيا الاتصالات الرقمية"¹⁸.

تناضل كل أمة للحفاظ على موروثها الشعبي لحماية ثقافتها الوطنية، لأنها لاحظت أن الأمم المهملة لتراثها صارت غير قادرة على تأمينها، وكذلك حرصت الهيئات العالمية على توفير الأمن للقطاع الثقافي، وبين اللامبالاة، والاهمال، والحرص على التحول الرقمي الذي لا يخلو من القرصنة، والتزيف. نصطدم بإشكالية كيفية إخضاعه لمقتضيات البيئة الرقمية التي هي ضرورة عالمية، والمحافظة عليه من الانتهاكات التي قد تطاله.

2 - ضرورة رقمنة الشعر الشعبي:

كان الشعر الشعبي يحفظ إما في الأذهان، وغالبا ما يطاله النسيان إما مكدسا في الأوراق فيصعب استرجاعه، وهذا ما يستدعي التحول من الأساليب القديمة لأخرى

جديدة، وعصرية تواكب كل التطورات القائمة كأنظمة الحفظ الإلكترونية، وهذا التحول ليس خيارا بل ضرورة ملحة لحل المشاكل العالقة كالنسيان، أو التكدس، وصعوبة الاسترجاع، وكذلك لحل التعقيدات الإدارية الحكومية، واستبدالها بحكومات إلكترونية تقضي على أغلب التعقيدات المعتادة.

وبما أن الشعر الشعبي في الغالب شفويا جعله مهددا بالضياع، ومع ظهور منظمات دولية كالوينسكو، ودعوة الباحثين الصريحة إلى التحول الرقمي للحفاظ على الذاكرة الشعبية، فصارت رقمنة الشعر الشعبي ضرورة ملحة للانتفاع به وقت الحاجة، ولا يوجد أحسن من التكنولوجيا لأن لها آليات الحفظ والحماية، والعمل على تحسين البيئة، وكيفية استغلاله، وإنقاذه من النسيان، والإتلاف.

عند تصفحنا للأبحاث والدراسات التي تطرقت للإبداعات الشعرية الشعبية نرى صيحات التحذير من السرقة، والتزييف التي قد تطالها عبر وسائل التواصل الحديثة، والاستغلال غير المشروع في ظل التحول الرقمي.

التحول الرقمي ثوره جارفة تكتسح ما في طريقها من ضخامة التأثير الذي تتركه وقد قال كورين: "لا يدرك الكثير من المكتبيين إدراكا كاملا أنهم في خضم ما لا يعد ثورة واحدة، أو ثورتين، وإنما ثورات متزامنة تغذي كل منها الأخرى، وعندما تأتلف، أو تتحد هذه الثورات فإنها كاسحة، ومؤلمة مثل ما كان حال الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر"¹⁹.

لم يتخذ الشاعر الشعبي موقفا سلبيا في ظل هذا التحول بل اختار ما يجعل إبداعه مستمرا، ومنتشرا، وذلك عبر المواقع الإلكترونية، وشبه الإلكترونية، والمدونات، وصار النقاد يقومون بدراسات نقدية وصلت إلى الأكاديمية لأن الأدب الشعبي صار تفاعليا مواكبا للحركة التكنولوجية متخطيا عقبات الخوف من التحريف، والتزييف الذي قد تقوم به وسائل الإعلام والاتصال المتطورة عليه.

3 - تحديات رقمنة الشعر الشعبي:

إن التطور التكنولوجي له أهمية كبرى في نشر الشعر الشعبي، ولا يُمكن لمغرض أن يطمس دور وسائل الاتصال الحديثة في نشره، والتعريف به إلا أن هناك تحديات تعترض هذا الدور منها غياب الرؤية، وأحيانا عدم وضوحها لدى الأفراد المتفاعلين لأن العلمية الإبداعية التواصلية لا بد لها من منهجية واضحة، وأهداف محددة للاستشارة، والارتقاء، وقد يتضح جليا لو نظرنا إلى واقع الشعر الشعبي الجزائري في ظل هذا التحول الرقمي نجده لا يزال لم يحقق رغبات المهتمين، والنقاد، والمتخصصين، وكذلك قلة الصفحات المخصصة للأدب الشعبي الجزائري.

إن وجدنا في بعض الأحيان اهتماما بالتراث الشعبي فقد نجده اهتماما بالتراث المادي "إن إعلامنا يتخذ من تراثنا موقف العارض، والزائر، وتطوف كاميراته بصحون الجوامع، ورهديات المعابد، وشواهد المواقع الأثرية، تنقل ميكروفوناته الغناء الشعبي وشعرنا الفلكلوري، وهلم جرا، ولكن غالبا ما يتم كذلك دون تعليق، وعرض لمآثر هذا التراث في سياقه الثقافي الأشمل، الذي يعين المتلقي على تذوقه واستيعابه"²⁰.

الانتقال من الشفاهية إلى الكتابة حوّل المتلقي من سامع إلى قارئ، وتناقصت قيمة الشاعر الذي يتحلق حوله الناس، وصارت النصوص التي تكتب مباشرة على شبكات التواصل مهددة بالزوال، وهذا يؤدي إلى وصولها إلى أماكن أخرى، وإلى شعوب تنبهر بها فتعرض للتزييف مما يؤدي إلى زلزلة الموروث الثقافي.

ظهور مفهوم المجتمعات الافتراضية يؤدي إلى التأثير، والتأثر فعلى أن لا نتخذ موقف الوقوف متفرجين فهو يؤدي إلى طريقتين لا ثالث لهما، إما الانسلاخ الذي قد يؤدي إليه الانفتاح، وإما الانزلاق من الحاضر إلى الماضي الذي يفرضه الانغلاق فالإكتفاء بالاندھاش الأعمى بالتكنولوجيات الرقمية، أو خشيتها دون تبرير، لا بد أن يصاحبه

ترشيد في الأمر متعلق "بمدى قدرتنا على تحقيق أقصى استفادة مما لدينا من تكنولوجيات، ومعلومات، واتصالات مع تجنب سوء عواقبها"²¹.

لابد من التركيز على المخاطر التي قد يتسبب فيها التحول الرقمي كالتلاعب بالبيانات، وهذا ما جعل بعض النظريات، والأفكار الرافضة لمسألة تقييم المخزون الثقافي بحجة الخوف من ضياعه في العالم الافتراضي.

القرصنة الثقافية، والاستيلاء غير المشروع على تراث شعب، أو مجموعة شعوب باستغلالها للتكنولوجيا، وتكريس واقع ثقافي جديد مثل الاستحواذ غير الشرعي على أربعة آلاف حكاية شعبية فلسطينية وما كان ليكون هذا الاستحواذ لولا ظهور الثورة التكنولوجية والتحول الرقمي المتسارع وبما ان الوسائط الرقمية لا تُعَمَّر مثلما تُعَمَّر الوثائق الورقية، والكتب، وتطور أشكال الرقمنة، ووسائط التخزين باستمرار، وهذا ما يعرض مقروئية التراث الرقمي، وسلامته مستقبلا للخطر.

4 - حماية الشعر الشعبي الجزائري في ظل التحول الرقمي:

ظهرت الرقمنة للحفاظ على تحسين أساليب، وطرق إتاحة المعرفة للجميع، ومع تعرضها للتهديد، والزوال لابد من وجود مؤسسات تعني بحفظ الواب، والمحتويات الرقمية، وهذا ما أدى إلى منظمة اليونسكو بتبني لائحة حول التراث الرقمي سنة 2003 م، ووضع خطط ومشاريع للرقمنة، وإجراءات جديدة تهدف إلى ضمان ديمومة المحتويات الرقمية، وضمان إتاحة دائمة للتراث (رقمنة التراث مهما كان شكله).

استدركت أغلب الحكومات في السنوات الأخيرة التأخر في مجال المحافظة على التراث وتجاوز حالة الإهمال الذي طالته من خلال إطلاق بوابة إلكترونية مخصصة للتراث الشعبي (المادي واللامادي). إن نقل التراث الشعبي نقلا تقنيا من خلال أساليب متطورة، فالحفاظ على ما تراكم من مخزون، وما تقادم من تكنولوجيا يفرض التغيير في الاستراتيجيات تدريجيا لمواكبة التحول الرقمي المتسارع.

إن الجزائر شأنها شأن الدول العربية الأخرى، قامت بإحياء تراثها، وتنشيطه، والحفاظ عليه كما استخدمت الوسائل المختلفة لنشره، وأنشأت المنظمة العربية للتربية، والثقافة، والعلوم للحفاظ على التراث العربي حيث قامت : بإنشاء مراكز وطنية، وإقليمية تسعى لتدريب الأفراد على حماية تراثهم، وتشجيعهم على إقامة الأبحاث العلمية المتعلقة به، ووضع خطط قانونية، ومالية، وعلمية، وإدارية تخدم حماية التراث، والحفاظ عليه، ونقله من جيل إلى آخر، واتخاذ الاجراءات اللازمة في حال تعرضه للتهديد، ووضع دراسات علمية، وتقنية لمواجهة الأخطار التي تعترضه، وسن تعهدات على عدم تعرض دولة ما إلى تراث دولة أخرى، فحماية التراث يمنح كل شعب هويته التي تميزه عن غيره من الشعوب. إنقاذ التراث الشعبي من الاندثار، والإتلاف، وصيانتها، وحفظه يتم بالرقمنة، ووضع نظم معلوماتية لإدارتها، فالرقمنة تؤدي الى تحقيق الحفظ الجيد.

ألقت التكنولوجيا بظلالها على كل شيء في حياتنا، وتظهرت في النصوص الشعرية الحاضرة في العالم الرقمي، فأصبحت تكتب عبر برمجيات، ولا يمكن تلقيها إلا عبر شاشات الكمبيوتر، فأصبح الوصول إليها سهلا، ومشاركتها بين العديد من مستعملها في الوقت نفسه.

لابد من التأكد على من يقوم برقمنة الشعر الشعبي أن يكون مدركا لجوهر العلمية الإبداعية، وعلى الشعراء الشعبيين نشر إبداعاتهم، والتعريف بها عبر المنتديات، و. المواقع الإلكترونية حيث صار بمقدورهم " التدخل فيها، وأن يصبحوا أنفسهم مصادر إرسالها الأصلية"²².

كذلك على المهتم بالشعر الشعبي في ظل التحول الرقمي أن لا يقتصر جهده على تسجيل الابداعات فقط، بل عليه أن لا يقبل بالدعايات التجارية التي تقدم العمل التافه على العمل الجاد، وأن "يتجاوز ذلك إلى غربة تلك المواد للتمييز بين المأثور الحقيقي، والإبداع الزائف، والمأثور المستغل في الدعاية التجارية"²³.

لحماية الشعر الشعبي لا بد من توثيقه بشكل دقيق، وتحويله إلى صيغ رقمية ليساعد على تسهيل عملية توثيق الإرث الثقافي الذي يمثل هؤلاء الشعراء، ولا تقتصر العملية على الأعمال الشعرية القديمة فقط بل تتعدى العملية إلى إضافة أعمال شعرية جديدة إلى القواعد الرقمية، وتحديث المعلومات المتعلقة بالأعمال الشعرية الموجودة، وتطوير استراتيجية جديدة للحفاظ على الأعمال الشعرية التقليدية.

خاتمة:

لكل أمة تراثها الذي يشكل هويتها، كونه يساعد على كشف عمقها الحضاري، والذي لا يُظهره إلا إحياء التراث، وهذا التراث الذي يُعد بمثابة ركيزة أساسية لبناء الحاضر، ومن هذا المنطلق برزت فكرة حماية التراث لدى جميع الشعوب، وتسخير آليات الحفاظ عليه، لأن المجتمعات آمنت بفكرة زوال الأمم من زوال تراثها. فقد وضعت الدول الكبرى هذه الفكرة من أولى أولوياتها وفي مقدمة أجنداتها، حيث سنّت قوانين لحماية التراث، واعتمدت آليات إدارية بهدف حمايته، والحفاظ عليه، ونشره.

بين ضرورة المحافظة عليه، والخوف من تزييفه، وقرصنته لا بد لنا من التوفيق بين إخضاعه لبيئة رقمية، وضرورة الحماية القانونية من أي انتهاكات قد تطاله، فحماية التراث الشعبي من السرقة والتشويه يتطلب حس مدني عال، واثمين الموروث الثقافي، والتحرك بشكل عاجل، ومدرّوس، وفعال، وأن تخضع متطلبات التكنولوجيا التي تتعامل معه لمتطلبات الأمان.

من خلال ما سبق ذكره يتضح أن التراث الشعبي مهما تعددت تقسيماته، وتمددت فروعه، لا بد من حمايته، والمسؤولية تقع على عاتق الجميع كل من موضعه، لأنه مصدر العز ومنبع الفخر وبذرة الانتماء للوطن.

الهوامش:

¹ - حلمي بدير، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، م، ص 14.

- 2- أحمد علي مرسى، مقدمة في الفلكلور، دار الثقافة، القاهرة، ط 1، 1986 م، ص 25.
- 3 - جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1979 م، ص 63.
- 4 - عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصة للنشر، الجزائر، طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص 16.
- 5 - فاتن محمد الشريف، الثقافة والفلكلور، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2008 م، ص 54.
- 6 - سعيد سلام، التناسل التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجا، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2010 م، ص 15.
- 7 - محمود مفلح البكر، البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، مديرية التراث الشعبي، دمشق، 2009 م، ص 74.
- 8 - بولرباح عثمانى، دراسات نقدية في الأدب الشعبي، الرابطة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ط 1، 2009 م، ص 18.
- 9 - محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009 م، ص 174.
- 10 - محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، الديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007 م، ص 13.
- 11 - عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصة للنشر، الجزائر، طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007 م، ص 18.
- 12 - عبد الحميد بومحاحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 م، ص 174.
- 13 - التلي بن الشيخ، دور الشعر الجزائري في الثورة من 1830 م إلى 1945 م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 م، ص 395.
- 14 - محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، ط 1، ص 51.
- 15 - عبد الله الركبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، 2009 م، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج 1، ص 361.
- 16 - جميلة سلامي، التحول الرقمي بين الضرورة والمخاطر، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد العاشر، العدد الثاني، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، 2019 م، ص 947.
- 17 - محمد شريف الطعمانة، طارق شريف العلوش، الحكومة الإلكترونية وتطبيقاتها في الوطن العربي، بحوث ودراسات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2004 م، ص 127.
- 18 - حسام الدين محمد مازن، تكنولوجيا الراسمعرفة لبناء مجتمع المعرفة الرقمي، المجلة التربوية، العدد الثاني والخمسون، كلية التربية، جامعة سوهاج، 2018 م، ص 424.
- 19 - نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، الكويت، ط 1، جانفي 2001 م، ص 385.
- 20 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 21 - فلوريدي، لوتشيانو، الثورة الرابعة، كيف يعيد الغلاف المعلوماتي تشكيل الواقع الانساني، ترجمة لؤي عبد الحميد السيد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2017 م، ص 11.
- 22 - مجموعة من المؤلفين: التراث وتحديات العصر في الوطن العربي، الأصالة والمعاصرة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 2، 1987 م، ص 702.
- 23 - حصّة سيد زيد الرفاعي، المأثورات الشعبية النظرية والتأويل، دار المدى للطباعة والنشر، سورية، ط 1، 2005 م، ص 113.